

تصوير البلاد والشعوب الأجنبية في نقد السبعينيات في سورية

دكتورة/ وجدان محمدان

عضو هيئة تدريسية في جامعة الشام الخاصة

w.m.foit@aspu.edu.sy

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على كتب نقدية صدرت في سورية في عقد السبعينيات، وعالجت موسوعة معرفية من مواضيع الأدب المقارن وميادينه، هو صورة الآخر الأجنبي في الرواية العربية مؤكداً وشائج الارتباط الوثيق بين قضايا النقد الأدبي الحديث والأدب المقارن الذي يهتم بدراسة صوره البلاد والشعوب الأجنبية، في ميدان الدراسات الصورولوجية. في هذا البحث سعي علمي إلى تحليل الدراسات الأدبية النقدية في سورية، التي شكلت طليعة أو بداية إجرائية جنينية لما أصبح يعرف اليوم في ميدان الأدب المقارن بالدراسات الصورولوجية. إن كتاب (المغامرة المعقدة) لـ محمد كامل الخطيب، الذي اهتم بدراسة العلاقة بين المجتمع العربي والمجتمع العربي، كما ظهر في الفن الروائي العربي، وكتاب (شرق وغرب) لـ جورج طرابيشي الذي اهتم بدوره أيضاً بدراسة العلاقات الحضارية وأزمتها بين الشرق والغرب كما جسدها وعي الروائيين العرب في الرواية العربية، أنموذجان معبران عن تلك الدراسات تعبيراً مناسباً، يقدمان ثنائياً في الشرق والغرب)، في الدراسات النقدية معادلاً نقدياً لثنائية (الأنا / الآخر)، في الدراسات المقارنة. وقد نشي فيما بعد سلسلة لا تنتهي من الثنائيات. ولعله من المناسب الإشارة إلى أن النقاء استطاعوا الولوج من دون قصد منهجي أو وعي نقدي مسبق، في ميدان معرفي من ميادين الأدب المقارن، وهو ميدان علم الصورة.

(*)دكتورة في اللغة العربية - اختصاص أدب مقارن - عضو هيئة تدريسية في جامعة الشام الخاصة w.m.foit@aspu.edu.sy

**The image of the foreign countries and nations in the ١٩٧٠'s criticism
in Syria**

Introduced by : Wejdan Mouhammadah

Al-sham private University

w.m.foit@aspu.edu.sy

Research Summary

This research aims at concentrating on some critic books proceeding in Syria in the ١٩٧٠'s and dealt with cognitive subjects of the comparative literature and its fields ,that is The Image Of The Other (the foreign) In The Arabic novel asserting the relationships between the issues of modern literary criticism and the comparative literature which concerns with studying The image of the foreign countries and nations in the field of Imageology studies. In this research, there is a scientific work to analyse the modern critical literary studies in Syria which formed the beginning of genetic procedural to what is known now, in the field of comparative literature ,with the imageology studies. the complicated adventure by Muhammad Kamel Al- Kateeb and East and West by George Tarabishe are expressive and suitable exemplar of these studies. These two books introduce the couple (The East / The West) in the critical studies which is a critical equivalent to the couple (The Ego / The other) in the comparative studies

أولاً- التعريف بـ علم الصورة (الصورلوجيا) Imagologie

مقدمة :

يعد علم الصورة (الصورلوجيا) أو الدراسات الصورية أو الصورانية من الدراسات الجديدة نسبياً وهي من أحدث ميادين الأدب المقارن. كما تعد البحوث المرتبطة بها من جديد المرحلة التاريخية. و تمثل هذه البحوث أهمية خاصة، إذ تعد أحد المفاتيح لحوار الحضارات. فدراسة صورة شعب ما في أدب شعب آخر، إنما تدل على وعي للذات والعالم، كما تسهم في تعزيز التفاهم بين الشعوب وتساعد على نشر لواء الإنسانية، وتهيئ خير السبل للتعاون الحق والتفاهم الصادق بين الشعوب عن طريق التعرف إلى الاتجاهات العامة والميول الفكرية المشتركة للعقل البشري. فضلاً عن أهمية الدرس النقدي لصورة الآخر في الأدب القومي، في تحسين أدوات تحليله وتقويمه فنياً.

وعرى (د. محمد غنيمي هلال)^١، أن هذا العلم قد مهد له في أوروبا تمهيداً طويلاً، ولم يكن ليخرج إلى عالم الوجود لولا تطور النقد الأدبي، الذي أخذ اتجاه آخر غير عرض النصوص، وبيان صورها البلاغية وجودة صياغتها، رغبة في استخلاص دروس عملية وقواعد عامة منها.

وأما (د. عبده عبود)* فيرى أن هذه الدراسات اليوم، أفضل بكثير من الماضي. فكما تراجعت دراسات التأثير والتأثير، بفضل التناص والتلقي الإبداعي، ازدهرت الصورية. إلا أن الكثيرين يفتقون موقف التشكيك في شرعية هذا العلم، ويعدونّه ابنياً لقيطاً للأدب المقارن. على أية حال فقد ترسخ في العقود الأخيرة فرع من فروع

الدراسات في الأدب المقارن، صار يعرف به اسم الصورلوجيا Imagologie. ويرى (د. غسان السيد)^٣، أن دراسات الصورة من الدراسات الأدبية التي راجت في وقتنا الحالي، بسبب أهميتها في العلاقات بين الشعوب. ولكن على الرغم من كثرة هذه الدراسات في الغرب، فإنها بقيت قليلة في البلدان العربية، ولا تحظى بالاهتمام الذي يجب أن تحظى به بخاصة في الفترة الراهنة وقد كانت المشكلة الرئيسية أمام هذا النوع من الدراسات أنها لا تربط، دراسة الصورة بالواقع التاريخي والثقافي للشعوب، أو أنها تحول أحياناً إلى ملاحقة دقيقة لصورة الأجنبي في النص الأدبي الذي نهمل أبعاده الأخرى.

مفهوم الصورة:

يستعمل مصطلح صورة Image في أكثر من مجال واحد من مجالات المعرفة المالية، ويتخذ كل منها مفهوماً خاصاً وسمات محددة. فقد يستعمل في الدراسات اللغوية والدراسات البلاغية والفنية، والدراسات المقارنة. وإذا أردنا أن نقف على دلالة الأصول القوية لمادة (صَ وَرَ)، فإننا نجد أن الصورة تعني (الشكل، والجمع صُورَ، وصُورَ، وتعمل بمعنى النوع والصفة)^٤ هذا في المعنى المعجمي للصورة، وأما في المعنى الاصطلاحي الفلسفي^٥ فإننا نجد أنه كل ما قابل المادة هر صورة. وقد بنى أرسطو على هذا التقابل فلسفته كلها، وطبّقها في الطبيعة وعلم النفس والمنطق، فصورة التمثال عنده هي الشكل الذي أعطاه التمثال إياه، وصورة الجسم، اللص، وصورة الإله، محبة. وهي كذلك عند كانط Kant، فصورة المعرفة هي غير مادة المعرفة، وصورة القانون هي غير مادة القانون.

وفي (المعنى الاصطلاحي البلاغي للصورة)^٦، نجد عيد القاهر الجرجاني (٤٧٤ هـ) أنه يطلق على الخلاف بين بيتين من الشعر مشتركين في معنى واحد، مصطلح صورة.

وأما (المعاني الاصطلاحية الأدبية)^٧، التي تعطيها الصورة فهي الأتية :

- ١- رؤيا ما هو غير موجود على أنه موجود، وذلك عن طريق الحبال.
- ٢- شبيه أو مماثل العكس فيه ملامح الأصل، أو أبرز ما في هذه الملامح.
- ٣- تشبيه أو استعارة، وتتميز هذا الصورة بأنها لا تشدد على الصلة العقلية الصافية. (والصورية في علم الجمال)^٨، اتجاه يرمي إلى التعويل على الشكل من دون المضمون. وأما دلالة الصورة في ميدان الأدب المقارن، فيتحدد معناها بتمثيل صور الشعوب وما تتضمنه من أنماط بشرية مختلفة، وأحكام مسبقة، وإشارات وطرائف وأراء ومشاهدات حول تلك الشعوب. يعرف (دانييل هنري باجو)^٩ الصورة بما يأتي : (كل صورة ترتبط بأنأ في علاقتها بالآخر). وعلى ذلك فإن باجو، يحدد بشقة مكونات الصورة (الأنا / الآخر)، وقد أخذ باجو في تحديد مفهوم الصورة تأويل معنى الآخر بـ الأجنبي. وتعدّ الصورة المقارنة بهذا الشكل، مجموعة من الأفكار عن الأجنبي، تتشكل من الثقافة النازرة لذا فهي ليست نسخة عن الواقع بل موازية لها

ومتعايشة معها من أجل التعبير عن الآخر، أما مفهوم الأنا، وهو أحد مكونات الصورة أيضاً، فإنه يعني الوطني ولعله صفة العربي في الأدب العربي.

مصطلح الصورلوجيا :

أطلق د. محمد غنيمي هلال، في مطلع الخمسينيات على هذا الميدان من موازين النقد الأدبي المقارن تسمية (تصوير الآداب القومية للبلاد والشعوب والأخرى)^{١٠}، واستمرت تسمية د. هلال متداولة حتى راح يزاومها مصطلح جديد، يطمح أن يحل مكانها، هو الصورلوجيا: وفي دراسة مصطلح الصورلوجيا، على الصعيد اللغوي، يظهر أنه قد تم نحت من كلمتين هما: علم وصورة، والنحت كما يقول ابن فارس والسيوطي: جنس من الاختصار و مذهب من مذاهب النمو اللغوي، عرفته اللغة العربية كما عرفته طائفة من اللغات الأخرى. (يتفق مع فكرة الاشتقاق، إلا أنه ظاهرة قليلة الأمثلة في أساليب القدماء^{١١}). أما الدراسات اللغوية الحديثة فقد وجدت في النحت نوعاً من التطور والانتساع في مجال الاشتقاق فلم يبق محصورة في دائرة (أخذ كلمة من كلمتين)؛ بل صار يعني أن تنتزع من مجموع حروف كلمتهما، كلمة فذة تدل على ما كانت عليه الجملة نفسها. ولعل مرد ذلك إلى ما يعرف ب قانون توفير الجهد، فقد وجد المحذون في النحت مهربة من عامة التكرار وكثرة الاستعمال. (يرجع الفضل في نحت هذا المصطلح عربية إلى المقارن المغربي "د. سعيد علوش"، عام سنة وثمانين وتسعمئة وألف ١٩٨٦)^{١٢}، وهو جهد شخصي صدر عنه إسهاماً منه في تنمية هذا العلم وازدهاره، بفضل مكوناته الثقافية الجامعية الفرنسية، وما تتطلبه معطيات الحضارة العلمية الحديثة من مصطلحات علمية، ومما يجدر التنويه به أن العرب قديمة قد أدركوا أهمية المصطلحات، فألفوا فيها كتبة معرفية مثل الفهرست لابن النديم، وإحصاء العلوم للفارابي، ومفاتيح العلوم للخوارزمي، ومما لا شك فيه أن نشأة المصطلح النقدي والبلاغي عربية كانت قد بدأت مع الاتصال الفعلي بالأمم والشعوب كالفرس واليونان والهند والرومان، (وهو دليل صحة وتفاعل خلاق. وقد أفاد النقد والأدب من هذا التلاقح الخلاق، ومن تسرب بعض المصطلحات الفكرية والفلسفية)^{١٣}. وقد أتت صياغة هذا المصطلح على الرغم من القلق الذي تعاناه دورة حاسمة في توجيه الدارسين

والمقارنين العرب في كتاباتهم، فقد تناوله د. عبده عبود بالدرس والتوضيح في كتابه الأدب المقارن، كما تناوله بعض المتقدمين بأطروحات جامعية.

تعريف علم الصورة :

يرى (د. محمد غنيمي هلال)^{١٤} ، أن هذا العلم أحدث ميدان من ميادين البحث في الأدب المقارن ؛ ولكنه مع حداثة نشأته غني بالبحوث، وذلك لأنه أيسرها منهجاً وأوضحها معالم، وقد اهتم به علماء الأدب المقارن في وقت مبكر جداً، وعده بعضهم ميداناً أساسياً من ميادين البحوث المقارنة، كما استحدثوا للدراسات التي تتخذ من الصور موضوعاً لها تسمية صورلوجيا (الذي يدل على علم دراسة الصورة الأدبية).^{١٥} يدرس علم الصورة، الصور التي تتجلى بها فنياً الشعوب وأفرادها وبيئاتها الأخرى في أدب قومي ما، ويرى أن هذه الصور متنوعة بتنوع الانطباعات الذاتية عند الأدباء والكتاب عن الأفراد أو الجماعات، وهذه الانطباعات ليست مرتبطة بمعلومات دقيقة أو أمينة على الأغلب وإنما هي مرتبطة بعواطف الكتاب أو عقائدهم أو اتجاهاتهم، لذلك فإنه كثيراً ما تشكل الصور مصدراً أساسياً من مصادر سوء الفهم بين الأمم والدول والثقافات ؛ لأنه لا وجود لصورة حقيقية، ولا تمثل الصورة واقعاً صادقاً لمقتضى الحال. ونعني بسوء الفهم، ذلك النوع الناجم عن الصورة العدائية التي يقدمها أدب قومي ما عن شعب آخر أو شعوب أخرى، ويمكن العودة هنا إلى الصورة المختزنة في الذاكرة الشعبية للعرب عن الغرب، حيث نجد صفات لا تتغير تقرىباً مثل (الكفر والانحلال الأخلاقي والتفكك العائلي وشرب الكحول إلخ)، في حين أن كثيراً من كتاب الغرب لا يدركون من العرب والإسلام، إلا مظاهر البداوة والبدائية والجسد المحروم الذي تنتهكه أسطورة المرأة. إن هذه الصورة المزدوجة ترتبط بشكل وثيق بالأفكار التي ترسبت عبر قرون عديدة في ذهن الأفراد الذين لا يستطيعون غالباً تتبع بدايتها ولا تطورها ولا مصادرها، الأمر الذي يعيق الذهن عن إدراك ما هو جديد، أو إدراكه مشوهة. إن ثنائية الشرق والغرب قد شكلت قاعدة الثنائيات لاحقة مثل (الذكورة والأنوثة، والإيمان والعلم، وعالم الروح وعالم المادة). وهذه الثنائيات الضدية التي تتحكم يرسم ملامح صورة كل طرف عند الطرف الآخر، لاتزال تحكم العلاقة بين الطرفين إلى يومنا هذا. ويرى (د. غسان السيد)^{١٦} ، أنه على الرغم من سهولة

التواصل والانتقال في العصر الحديث فإن الصورة الذهنية لم تتغير كثيرة، وبدلاً من انفتاح الشعوب بعضها على بعض مستخدمة لغة الحوار والتسامح والتعاون، تحل الحروب وتتوقع هذه الشعوب داخل أطر ضيقة تمنعها من التواصل مع الشعوب الأخرى بالشكل الصحيح، فنتشكل الصورة النمطية المشوهة التي تتحول إلى وسم في الذاكرة الجمعية، تنتقله الأجيال، وتحتاج إلى جهد ووقت كبيرين من أجل تغييرها؛ وذلك لأن وقوع الإنسان في العصر الحديث تحت ضغط الوقت واتساع العالم وعجز الإنسان عن الإحاطة بمحتوياته وتكوين أفكار دقيقة، تجعله مضطراً إلى وضع الأحداث مهما كانت متنوعة، ضمن تصنيف جاهز مسبقاً من دون القدرة على الفرز، وترداد خطورة هذه الحالة في ظل الفكرة الهائلة لوسائل الإعلام والاتصال المختلفة على توجيه الأحداث الوجهة التي يريدتها. يهتم الأدب المقارن بدراسة هذه الصور وتحليلها وتقصيرها، إسهاماً منه في معرفة مكانة كل أمة لدى غيرها من الأمم، ورؤية صورتها في مرآة غيرها في آداب الشعوب (مما يتيح لها أن تعرف نفسها حق المعرفة وتحاول تصحيح وضعها أو الدفاع عن نفسها، الأمر الذي يهيئ الفرصة للتفاهم الحق والتعاون الصادق بين الشعوب)،^{١٧} فضلاً عما يقدمه من كشف نقدي مفيد في تحليل النصوص الأدبية وتوصيف مكوناتها الفنية وتقويمها. أما بدايات هذا العلم فترجع إلى النصف الأول من القرن التاسع عشر (عندما قامت الأدبية الفرنسية المعروفة مدام دي ستال في سنة (١٨١١) بزيارة لألمانيا، ضائنة درعا مما نعانیه فرنسا من طغيان نابليون، فكانت تنشد في هجرتها بلدة تتمتع فيه بتلك الحرية التي حرم منها في فرنسا)^{١٨}. وقد أثرت بإدراكها هذا في جيل من الكتاب والرحالة الفرنسيين (فظلت ألمانيا في إنتاجهم بلد الحرية الفنية في المسرحيات والشعر)^{١٩}. اشتهرت مدام دي ستال بسعة اطلاعها على الآداب الأجنبية عامة، والأدب الألماني بخاصة. وانتقدت أولئك الذين يحتقرون الآداب الأجنبية، ولا يهتمون بدراستها. ودعت إلى دراسة الآداب في لغاتها الأصلية، واستشهدت بالآداب الأجنبية لتبين وجوه تشابهها ووجوه اختلافها، وتحدثت عن مبادئ عامة، تتعلق بنشأة بعض الفنون الأدبية وأغراضها وأسسها وبواعثها في فرنسا وفي الأمم المجاورة لها، (أشادت بالفائدة الناتجة عن الانفتاح للتيارات الغربية)^{٢٠}. على الرغم من أن الصورة التي رسمتها مدام دي ستال لألمانيا

في وقت كان قد تصاعد فيه العداء وسوء الفهم بين الشعبين الفرنسي والألماني، فقد بينت أن الفرنسيين يجهلون أبسط الأمور المتعلقة بالمجتمع والثقافة والأدب والطبيعة في ألمانيا. (لقد رسموا في أذهانهم صورة الشعب فظ غير متحضر ويتكلم لغة غير جميلة وليس له إنجازات أدبية أو ثقافية تستحق الذكر، وقد فوجئت الكاتبة الفرنسية بمناقب الشعب الألماني من طيبة واستقامة، وبجمال طبيعة المائيا ولا سيما وادي نهر الراين والغاية السوداء)^{٢١}، فجاء كتابها : ألمانيا (١٨١٣) أذهان الفرنسيين من صور مشوهة عن الألمان وبلادهم وثقافتهم، فكان هذا الكتاب بداية لما أصبح يعرف حالياً بـ الصورلوجيا.

وقد أوجز (د.محمد غنيمي هلال)^{٢٢}، في الفصل السابع من كتابه الأدب المقارن تحت عنوان تصوير الآداب القومية للبلاد والشعوب والأخرى، منهج البحث العام في هذا الفرع من فروع الأدب، نقلاً عن الباحث الفرنسي المقارن م.ف غويارد، وهو ما سماه بـ دراسة بلد ما كما يصوره أدب أمة أخرى ووجد أنه يشمل :

١- دراسة بلد ما كما يصوره أدب آخر ومثال ذلك : صورة إنجلترا في الأدب الفرنسي، وكذا صورة إسبانيا في الأدب العربي، وصورة مصر في الأدب الفرنسي أو الإنكليزي

٢ - دراسة بلد ما كما يصوره مؤلف ما من أمة أخرى ومثال ذلك : صورة إسبانيا في شعر شوقي، وصورة مصر في مؤلفات جيرار دي نرفال، وصورة مصر في مؤلفات فيكتور هوغو الفرنسي. وقد أشار في ختام البحث إلى مدى أهمية هذه البحوث الأدبية والإنسانية، كما رأى أنها تساعد على فهم الشعوب بعضها لبعض، وعلى مدى إدراك كل منها للآخر إدراكاً على أسس صحيحة، مما يؤدي إلى حسن التفاهم بين الشعوب وتأثير صلتها بعضها ببعض.

وقد نهل (د.سعید علوش)^{٢٣} ، من المصدر نفسه، وهو كتاب الأدب المقارن لـ ماريوس فرانسوا غويارد، في البحث في هذا المجال ورأى أنه يشمل أيضا :

١- تصوير بلد أجنبي ما من خلال أدب أجنبي آخر، كتصوير بريطانيا العظمى في أدب فرنسا في القرن التاسع عشر

٢- تصوير بلد أجنبي ما من خلال مؤلف أجنبي آخر، كمؤلف مدام دي ستال عن ألمانيا. وقد أشار غويار إلى أن هذه الدراسات تساعد على تحقيق نوع من التحليل النفساني القومي. فكل شعب يخلع على الشعوب الأخرى مميزات تتفاوت فيها الحقيقة لصالح الدعاية المروج لها. ولا ريب أن الأدب يؤدي دوراً مهماً في تكوين النماذج القومية التي تشكل عن طريق قصص الرحلات والروايات والمسرح ويسهم في تعرف الشعوب بعضها بعضاً، فـ (حين تعرف الشعوب بعضها بعضاً، تعظم معرفتها بمنبع أوهامها المتبادلة ويعرف كل شعب نفسه بشكل أفضل ويكون أكثر سماحة مع الآخر الذي احتفظ إزاءه برأي سيء يشبه رأيه فيه)^{٢٤}.

وأخيراً لابد من القول: إنه على الرغم من الإحالات في معظم المراجع العربية لدى المقارنين العرب إلى جهود م. ف. غويارد M.F.G uyard في كتابه (الأدب المقارن /١٩٥١)، فإن أحده لم يكمل أو يبلور ويعمق هذا النسق العلمي والمعرفي الذي أتى به غويارد.

الأنا والآخر :

لا يمكن أن ننظر إلى الآخر بمعزل عن الأنا، وقد تناول د. عبده عبود، درس صورة الأنا وصورة الآخر بالشرح والتوضيح في كتابه (الأدب المقارن)^{٢٥}. وحلل أسباب التباين بين صورة شعب ما من الشعوب في أدبه القومي، وهو ما نعنيه ب صورة الأنا، وبين صورة ذلك الشعب في الآداب الأجنبية، وهو ما نعنيه أيضاً ب صورة الآخر، و ردها إلى عدة أسباب أبرزها:

١- المعرفة الإحاطة العميقتان الشاملتان بالمجتمع الذي يصوره الأديب المنتمي إليه، تجعل الصورة التي يرسمها في أدبه غنية ودقيقة وتفصيلية، وذلك خلافاً للصورة التي يرسمها لشعب أجنبي لا يعرفه حق المعرفة.

٢- الأديب الذي يصور مجتمعه هو ابن ذلك المجتمع وهو مرتبط به، مادياً واجتماعياً ونفسياً وأخلاقياً. وعندما يصور الأديب مجتمعه، فإن الصورة تكون مطبوعة بطابع العلاقة الاجتماعية والنفسية والأخلاقية الوثيقة التي تشد هذا الأديب إلى مجتمعه وحتى عندما يرسم أديب صورة سلبية لمجتمعه - وهذا أمر كثير الورد في الآثار الأدبية - فإنه تكمن وراء تلك الصور رغبة عارمة في الإصلاح والتغيير نحو الأفضل وليس

الإساءة إلى المجتمع وهدمه، وهذا لا ينطبق على صلة الأديب بمجتمع أجنبي لا تربطه به علاقة توحد قومي. أما صورة الآخر أو الغير؛ أي الصورة التي يرسمها أديب ما لشعب أجنبي فلا تستند في أغلب أساس صلب من التجربة والمعرفة والإحاطة بأوضاع ذلك المجتمع وكثيراً ما يكون مصدر تلك الصورة الأسفار أو الرحلات التي قام بها الأديب إلى بلد أجنبي، أو إقامة الأديب في ذلك البلد بغرض الدراسة أو العمل أو الاستطباب، وفي حالات أخرى يقيم الأديب فترة طويلة في البلد الأجنبي؛ لأنه ضاق ذرعة بالعيش في بلاده، ويقدم تاريخ الأدب العربي الحديث أمثلة لا تحصى على ذلك نذكر من تلك الأمثلة: إقامة خليل حاوي، والطيب صالح في بريطانيا، وعبد الوهاب البياتي في إسبانيا. ولكن مصادر صورة البلد الأجنبي قد لا تكون المعرفة المباشرة؛ بل كثيراً ما ترجع تلك الصور إلى مطالعات الأديب أو إلى أحاديث سمعها حول البلد الأجنبي، فقسم كبير من الأنباء الذين قدموا في أعمالهم صورة للشرق العربي الإسلامي لم تطأ أقدامهم ذلك الشرق، فالأديب الألماني غوته عرف الشرق العربي عبر كتاب ألف ليلة وليلة، والشعر العربي، وكتب التاريخ. ويرى (د. عبد عود) ^{٢٦}، أن أهم ما ينبغي التأكيد عليه في هذا السياق هو أن الصورة التي يرسمها أديب ما لمجتمع أجنبي لا تعبر عن مشكلات ذلك المجتمع وهمومه وقضاياها ولا تتبع من التزام الأديب قضايا المجتمع الأجنبي ومن رغبته في إصلاحه أو تغييره نحو الأفضل؛ بل تتبع أولاً وقبل الحالات إلى أي شيء مشكلات الأديب نفسه من أوضاع مجتمعه القومي، وهي تلبي بالدرجة الأولى حاجات نفسية أو فنية أو ثقافية للأديب ومجتمعه، ولا تلبي حاجات ثقافية أو اجتماعية للشعب الأجنبي المصور، ويرى أن صورة الشرق في آثار الأديباء الأوروبيين تنسم بسمتين رئيسيتين هما:

١- رؤية الشرق بعين أوروبية لا عين شرقية، فالمرء لا يستطيع إلا أن يرى عبر منظاره وأفق.

٢- تلبية حاجات ثقافية أوروبية وعلى رأسها حاجتان هما:

- ١- الحاجة إلى الغرائبية، التي تعطي الأوروبي قيمة ترفيهية كبيرة.
- ٢- الحاجة إلى تأكيد الهوية الخاصة، فالأوروبي الذي يواجه بصور الشعوب الأخرى، يصبح أكثر تمسكه بهويته الثقافية حيث يكتشف حسنات نمطه في الحياة وتفوق ثقافته

على الثقافات الأخرى. وقد تلبى صورة الآخر في آثار أديب ما حاجات تعويضية. وينطبق ذلك على صورة الغرب في أعمال كثير من الأدباء العرب الذين يهربون إلى الغرب من مجتمع مترممت أخلاقياً ومتأخر اجتماعياً وتقنياً، إلى مجتمع متحرر أخلاقياً ومتقدم صناعياً وإدارياً. وأما الصورة السلبية فتنبع من تناقض حضاري أو سياسي بين الأمة التي ينتمي إليها الأديب والأمة الأجنبية الأخرى المراد تصويرها، ومثال ذلك صورة العرب في الأدب الصهيوني في العصر الحديث التي تعكس حالة العداء السياسي والحضاري الشديد السائد بين العرب والصهاينة والتي تعكسها روايات "غسان كنفاني"، والشعر الفلسطيني المعاصر. وقد اهتم (د.عز الدين المناصرة) ^{٢٧}، بهذا النوع من الصور، ورأى أن الشعر الفلسطيني كان إنسانية في رسمه لصورة اليهود، بينما طغت الملامح العنصرية اللانسانية على صورة العربي في الأدب الصهيوني. فهي تعكس حالة العداء السياسي والحضاري الشديد السائد بين العرب والصهاينة.

وأخيراً : لابد من الإشارة إلى أن المرحلة التاريخية الحديثة قد أفرزت دراسات تهتم بدراسة صورة الآخر في الآداب القومية المختلفة، (ولعل أهمية مثل هذا الأبحاث والدراسات ترجع إلى حقيقة أنها تمثل دلالات ثرة لمعرفة مجتمع ما أو شعب ما، مما يساعد على تعميق فهمنا للآخر) ^{٢٨}، و(وعي الذات والعالم) ^{٢٩}، كما تسهم في (تطوير أدبنا العربي) ^{٣٠}. من خلال نظرة متفحصة مزدوجة للذات والآخر، أتاحتها الاتصال المبكر بالثقافة الأوروبية عن طريق البعثات والحروب الاستعمارية، (والاطلاع على نمط جديد من الحياة الثقافية) ^{٣١}، ذلك الاطلاع الذي يلغي نزعة التفاخر القديمة، ويدفع بأدبنا نحو الانفتاح والمرونة والإقبال على اقتباس ما يساعدنا في النهوض والشروع في الانتماء إلى العالم المعاصر، والانفتاح على مناخ الثقافة العالمية المشتركة بوعي وتبصر، وليس من خلال التبعية أو الذوبان والتخلي عن الملامح الخاصة للثقافة القومية.

رؤى الآخر في النقد الروائي في سورية في السبعينيات :

عني النقاد في سورية بدراسة صورة الغرب في القصة والرواية العربية، وقد عولجت باتساع كموضوعات وأفكار وعلاقات سياسية واجتماعية واقتصادية، في بحوث غير مستقلة، وإنما أنت ضمن سياق النقد الأدبي العام، وتقضياً للنقاد السوريين الذين درسوا

التجليات الروائية والقصصية لعلاقة (الشرق العربي بالغرب الأوروبي)، وكيف ظهرت في وعي الروائيين العرب، في عقد السبعينيات تناولنا : محمد كامل الخطيب (المغامرة المعقدة)^{٣٢}، وجورج طرابيشي (شرق وغرب)^{٣٣}.

— ومن اللافت للنظر أن محمد كامل الخطيب، قد سبق النقاد السوريين الآخرين في معالجة موضوع اللقاء الشرق بالغرب في الأدب الروائي، والفكر العربي الحديث. فكان رائدة بحق لما أصبح يعرف اليوم في ميادين الأدب المقارن وفروعه المعرفية، بدراسة صورة (الأنا والآخر). قبل أن يأخذ هذا المفهوم طريقة إلى حيز الوجود.

— أما جورج طرابيشي، فقد نظر إلى علاقة الشرق بالغرب، من خلال معالجته لأزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية، متوصلاً إلى النتائج ذاتها، التي سبقه إليها الناقد الخطيب في مغامرته المعقدة.

المغامرة المعقدة لـ (محمد كامل الخطيب)^{٣٤}

يرجع ناقدنا الخطيب تاريخ العلاقة بين المجتمع العربي والغربي في العصر الحديث إلى (رفاعة الطهطاوي / ١٨٠١- ١٨٧٣)^{٣٥}، الذي طالب بالانفتاح على الثقافات الأجنبية؛ لأنه رأى في الانفتاح الجديد امتداداً لانفتاح الحضارة الإسلامية إبان ازدهارها على الثقافات والحضارات الإنسانية الأخرى. ومن هنا حملت نظرة الطهطاوي من وجهة نظر ناقدنا الخطيب، بذور نظرة إنسانية شاملة إلى حضارة كونية واحدة تسهم فيها جميع المجتمعات والحضارات والثقافات الإنسانية. ولكنني أرى أن كتاب عبد الرحمن الجبرتي (تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار / ١٨٣٠)، أسبق كتاب الطهطاوي (تلخيص الإبريز في ذهب باريز / ١٨٣٤). وعلى ذلك يمكننا أن نعد أن تاريخ الجبرتي، هو أول عمل كروي نتج عن لقاء الشرق بالغرب، في العصر الحديث، إثر الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام.

صحيح أنه لم يوضح الأبعاد الحضارية لهذا اللقاء مثل التعلم من الغرب، أو الذهاب إليه، إلا أنه يبقى كتاباً رائداً معبراً عن تجربة المجتمع العربي مع الحملة الفرنسية. غير أن وجهة نظر محمد كامل الخطيب في هذه المسألة متباينة مع وجهة نظرنا، فهو يعد كتاب الطهطاوي (أول كتاب عربي في العصر الحديث عالج موضوع لقاء الشرق بالغرب)^{٣٦}، في وقت كان فيه المجتمع الإقطاعي في الوطن العربي واقعاً تحت تأثير

الضغط الداخلي لمجتمع عزل طويلاً عن مجريات الأحداث الأولية، ويريد أن يتغير نحو الأفضل من جهة، والضغط الأوروبي الرأسمالي الذي يبحث عن مستعمرات جديدة من جهة أخرى. كما أنني مختلفة بالرأي مع ناقشنا الخطيب في مسألة أخرى، وهي أنه لجأ إلى التعبير عن المرحلة الأولى للقاء الشرق والغرب، من خلال كتاب الطهطاوي وحده، هل يعقل أن يجسد مرحلة بأكملها، كاتب معين، أيا كان هذا الكاتب؟ ما المانع الذي يمنع ناقدنا الخطيب من أن يتوقف عند (الجبرتي والطهطاوي والشدياق)، فهؤلاء جميع قد جسّدوا علاقة الشرق بالمغرب في كتبهم، فعلى سبيل المثال : تناول أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤-١٨٨٧) وصف بعض مظاهر أوروبا الحضارية، وقرانها بالمظاهر الموجودة لدينا في كتابة (الساق على الساق في ما هو الفاريق / ١٨٥٥، هذا يعني أن هذا الكتاب أيضاً قد تناول في وجه من وجوه الكثيرة لقاء الشرق بالغرب.

— إذا المشروع التنويري بدأ مع باحثنا الخطيب بـ (مرحلة الرحلة)^{٣٧}، ولكنه لم يتوقف عند كتاب رحلة، بل تعداه إلى فن أدبي متقدم ومتطور عن الرحلة، وهو (فن السيرة)^{٣٨} . إنه فن يتمتع بأسلوب أدبي أرقى فنياً وفكرياً بالتعبير عن التجربة الجديدة التي يعيشها المجتمع العربي. ورأى أنه خير ما يعبر عن هذه المرحلة، هو كتاب الأيام لطفه حسين (١٨٨٩-١٩٧٣)، ويرى أن هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة الصادرة في الأعوام التالية : (١٩٢٩-١٩٣٩-١٩٦٧)، قد أتى على شكل سيرة ذاتية، ولم يأت على شكل رواية ؛ لأنه لم تكن قد هضمت بعد تقنية الرواية، ولم تكن قد شملتها بشكل كاف وقادر على التعبير عن هذه التجربة الاجتماعية والحضارية الكبيرة ومن هنا كان كتاب الطهطاوي (سرد مشاهدات رحلة لكنها متأخرة تقنياً عن رواية متقنة فنياً)^{٣٩} كموسم الهجرة إلى الشمال (١٩٦٧)، للطيب الصالح مثلاً، وكانت الخطوة المتوسطة هي سيرة الأيام الذاتية، لطفه حسين، بعد مقدماته النظرية والإجرائية في الشعر الجاهلي. مما يشير إلى أن الخطيب يرى أن الأيام (خطوة متقدمة في التعبير فنياً عن وضع المجتمع العربي في علاقته مع الغرب، وفي نشر ووعي المجتمع العربي للغرب والحضارة الحديثة)^{٤٠}.

ولكنني أرى أن الشكل الروائي بتقنيته الغربية، الذي يعد بحق خطوة متقدمة في طريق وعي الرواية العربية لذاتها وللمجتمع العربي كان قد ظهر قبل ذلك الوقت بكثير متمثلاً برواية (زينب ١٩١٩ لـ د. محمد حسنين هيكل)^{٤١}، فقد أكد أغلب الباحثين أن هيكل هو الأب الشرعي الرواية القضية العربية وعلى الرغم من تلك ضد تجاوزوا ما قبلها مثل (الأجنحة المتكسرة لجبران خليل جبران)، إلا أنه ما روج لرواية زينب هو تأثر البرجوازية الوطنية في مصر بالبرجوازية الأوروبية وبخاصة في المسألة الفكرية. فقد كانت (الرواية متأثرة بالحركة الروائية الأوروبية)^{٤٢}، ومن هنا يمكننا أن نرى أيضاً وعلى سبيل المثال أن لقاء الشرق بالغرب قد أثر فكرياً على د. هيكل فأنتج رواية زينب. وقد أثر لقاء الشرق بالغرب من قبله أيضاً على الأستاذ (خليل بيدس)^{٤٣}، من خلال دراسته وتدريسه في المدرسة الروسية في الناصرة بفلسطين، فقد تأثر بأدب دوستوفسكي وتولستوي وبوشكين، وكانت رواية (الوارث/١٩١٢)^{٤٤}، من نتاج ذلك التأثير وقيامه بترجمة أعمال بوشكين منذ عام ١٨٩٨، وتخصيصه مجلة (النفائس ١٩٠٨)، لنقل روائع الأدب العالمي. أليست الترجمة مبدناً من ميادين اللقاء الحضاري بين المجتمعات؟ أم أنه عبر الذهاب إلى بلد الآخر فقط، مثلما فعل طه حسين، عندما ذهب إلى فرنسا، يتم التلاقح الحضاري بين الثقافات المختلفة. على ما يبدو أن هذه الفكرة لم تكن في ذهن ناقدنا الخطيب عندما كتب مغامرته العربية المعقدة، هذا أولاً، ثم لماذا توقف عند كتاب الأيام وحده وجعله يجسد مرحلة جديدة يعيشها المجتمع العربي بعد ثورة الشريف حسين عام / ١٩١٦؟.

بمعنى آخر: لماذا لم يتحدث عن مرحلة استيعاب روائي أخذت تظهر مع حركة التحرر القومي العربي؟ فقد وجدت أكثر من محاولة متحمسة لخلق أدب مستقل ينظر إلى الخارج بعين فاحصة، ويدعو إلى التحرر من قيود النمط الأدبي القديم، و التجديد في الموضوعات، وعصرنة الأساليب الأدبية، بالاستعانة بما يمكنهم أخذه من الغرب فكراً ووسائل تعبير، فالحياة الأوروبية قد فرضت تأثيرها الفكري والعلمي منذ ذلك الوقت على أدبائنا. نذكر منهم في تلك المرحلة: (عيسى عبيد)^{٤٥}، (ومحمود تيمور)^{٤٦}، و (محمود طاهر لاشين)^{٤٧}، و (طه حسين)^{٤٨}، و (توفيق الحكيم)^{٤٩}، و (عبد القادر المازني، ومحمود العقاد)^{٥٠}، هذا في مصر. وأما في بلاد الشام، فقد لعب متفوقها

دوراً كبيراً في ميدان التأصيل الروائي مثل : (سليم البستاني) ^{٥١} و(أمين أرسلان) ^{٥٢}، (شكري العسلي) ^{٥٣}، و(رفيق رزق سلوم) ^{٥٤}، وغيرهم من الذين تركوا إرثاً روائياً لا يمكن تجاوزه من قبل الدارسين المختصين. وأما في العراق، فقد وجدت محاولات (سليمان فيضي) ^{٥٥}، (محمود أحمد السيد) ^{٥٦}، وهي تدخل في هذا الميدان بشكل مباشر. فلماذا تجاهل الخطيب عن قصد أو بدون قصد، هذه المحاولات التجريبية الروائية، واختصرها جميعاً بمحاولة (الأيام). وجعل من هذا الكتاب وحده مرحلة، ألا يجدر بنا إذا ما أردنا الحديث عن مرحلة ما، أن نقف عند أكثر من محاولة عربية؟.

- وأما الجولة الثالثة مع ناقدنا الخطيب في مغامرته المعقدة، فقد توقف عند (الرواية العربية الحديثة) ^{٥٧}، التي عالجت موضوع لقاء الشرق بالغرب وقد اختار خمس عشرة رواية (١٥)، من (سورية ومصر وأقطار عربية مختلفة) ^{٥٨}، من إنتاج الثلاثينيات وحتى السبعينيات. ورأى أن المغامرة المعقدة قد بدأت فكرياً في سورية مع د.شكيب الجابري في روايته (قدريلهو ١٩٣٩) والجزء الثاني منها (قوس قزح ١٩٤٥)، وقد عدها (أول رواية عربية سورية ناضجة عالجت موضوع لقاء الشرق بالغرب) ^{٥٩}، مما يشير إلى أن مرحلة الرحلات التي كان رائدها الطهطاوي ومرحلة السيرة التي كان ممثلها طه حسين، كانت ممهداً لاكتمال وعي العرب للغرب في الثلاثينيات، وهذا الاكتمال في وعي العرب للغرب، كان أساساً لاكتمال التقنية الروائية، والوصول بها إلى أشكال متقدمة وقادرة على عكس الواقع الاجتماعي، عبر وعي الرواية لذاتها من ناحية، ووعيا لمجتمعها من ناحية أخرى. إلا أنه ما يحسب للخطيب من جودة في عمله، فهي تلك المقاربات و المقارنات التي كان يجريها من حين لآخر في مغامرته المعقدة، بين كتاب عرب ومحليين، وكتاب أجانب من مثل : مقارنته (الجابري بـ بلزك)، فقد عدَّ (الجابري بلزك الرواية السورية). صحيح أن مقارنته بين بلزك والجابري، مقارنة عابرة وسريعة، إلا أنه أوجد ما يسوغها وهو أن الجابري في روايته (قدريلهو و قوس قزح)، قدم دفاعاً عن قيم المجتمع الشرقي الإقطاعي، أمام الفكر الغربي البرجوازي. فالجابري كإنسان ينحاز إلى قيم الشرق؛ لكنه ككاتب روائي يسجل تخلخل قيم الشرق فهو من حيث الدلالة التقديمية، صورة صادقة لمجتمع، ومن حيث الدلالة المحورية في المجتمع العربي صورة رجعية، يحمل موقفاً رجعيًا، وهو

بمفارقتة تلك بلزك الرواية السورية. ولم تكن هذه المقارنة هي المقارنة الوحيدة في كتاب الخطيب ؛ بل يمكننا أن نتلمس أكثر من مقارنة فهو يقارن بين مغامرة بطل (الأيام / ١٩٢٩، ل طه حسين)، ومغامرة بطل رواية (المغامرة المعقدة، للكاتب السنغالي حميدو خان)^{٦١}، التي يعير فيها عن مغامرة (سامباديللو)، الشخصية المحورية في الرواية، في الانتقال من القبيلة في السنغال إلى السوربون في فرنسا، ويرى أنها المغامرة نفسها، ودلالاتها هي الدلالة ذاتها التي مشاها بطل طه حسين في الأيام) من كتاب قريته إلى السوربون وبالعكس.

* وهي المغامرة المعقدة نفسها للقاء الشرق بالغرب بالنسبة للطالب العربي الذي قدم باريس طلباً للدراسة الجامعية في رواية (الحي اللاتيني ل سهيل إدريس)، ولعباس الطالب العراقي في باريس أيضاً في رواية (رصيف العذراء السوداء ل عبد السلام العجيلي)، ولمصطفى سعيد السوداني، القادم إلى لندن في بعثة علمية، في رواية موسم الهجرة إلى الشمال ل الطيب صالح)، ولمنصور عبد السلام، القادم إلى باريس لدراسة التاريخ، في رواية (الأشجار واغتيال مرزوق ل عبد الرحمن منيف)، ولرجب القادم إلى فرنسا للتداوي والعلاج في (شرق المتوسط). ودلالة رفض (سامباديللو)، للقيم الاستهلاكية التي أنتجها الغرب الإمبريالي، هي الدلالة ذاتها لرفض الطالب العربي في رواية (الحي اللاتيني)، المتمثل في رفضه الزواج من صديفته الألزاسية جانبيين، ورفض عباس لروحانية الغرب المتمثل بتدين صديفته ماريا لينا في رواية (رصيف العذراء السوداء)، ورفض منصور عبد السلام الزواج من صديفته البلجيكية كاترين في رواية (الأشجار واغتيال مرزوق). وأيا كانت مسوغات هذا الرفض، من مثل عدم التكافؤ بين المتقدم والمتخلف، والشرق والغرب، (يحلّم سامباديللو، بأن يأتي ابن الأرض الأول، الابن الوحيد غير المنقسم إلى غرب وشرق)^{٦٢} كما يحلم بطل عبد الرحمن منيف (رجب)، بان يكون شرق المتوسط كغربه ووطن للحرية والحياة، فكما أن النضال قد جمع بين رجب المناضل ضد الرجعية في شرق المتوسط، ود.فالمي المناضل ضد النازية في غربه، من خلال وجودهما في نفس الغرفة في المشفى الفرنسي في باريس للاستطباب والتداوي من الآلام، فإن ذلك دليلاً على أن جوهر الإنسان واحد وهو حريته، سواء في شرق المتوسط أم في غربه. من

هذا المنظار يرى الناقد الخطيب أن المغامرة معقدة، وي طرح السؤال الأتي : كيف تكون الحضارة الإنسانية الجديدة حيث لا غرب إمبريالي ولا شرق متخلف وضعيف ؟ كيف نألف مع مختلف يظهر أحيانا في صورة العدو ، نعم إنها مغامرة عربية معقدة !. هذا النوع من الدراسات يعرف اليوم في ساحة الأدب المقارن، بدراسة صورة (الأنبا والآخر)، ضمن حقل معرفي يسمى الصورلوجيا (علم الصور). ولما كان الناقد الخطيب أسبق من غيره من النقاد في سورية في بحث قضية وعي الآخر في النقد الأدبي الروائي الحديث، فإنه يعد رائداً في هذا المجال.

- وقد ناقش ناقدنا الخطيب أيضاً إحدى إشكاليات الأدب القومي، وهي الأدب المكتوب بلغة غير لغته، وضرب مثلاً على ذلك : الأدب الجزائري والمغربي المكتوب باللغة الفرنسية، فهل هو أدب عربي أم أب فرنسي ؟ وقد بحث هذه القضية في أثناء دراسته له رواية (نجمة)، للكاتب الجزائري (كاتب ياسين)، وفي رواية مكتوبة باللغة الفرنسية، نشرت عام (١٩٥٦)، وقامت بترجمتها إلى العربية السيدة ملكة أبيض عام (١٩٦٢). إن هذه القضية التي أثارها هي قضية أخرى من قضايا الأدب المقارن أيضاً. ولكنها لم تكن متبلورة في ذهنه، كما هي متبلورة في ذهن المقارنين. فلقد ذهب محمد كامل الخطيب إلى أن تاريخ الجزائر وثقافتها هما غير التاريخ والثقافة الفرنسية، والنتيجة هي (أن تكون لغة الأدب الجزائري هي غير لغة الأدب الفرنسي، لكن في الواقع إن أكثر الأدب الجزائري مكتوب باللغة الفرنسية ؛ أي بلغة ليست هي لغة تاريخ وثقافة الجزائر)^{٦٣}، بينما يرى الأدب المقارن أن (الحدود اللغوية والسياسية والقومية غير متطابقة في كثير من الحالات)^{٦٤}، وعلى هذا فإنه ليس بالضرورة أن يكون هناك تطابق بين الانتماء القومي والانتماء اللغوي لكل شعب من الشعوب، ولكل ثقافة من الثقافات ولكل مجتمع من المجتمعات، فقد أصبح الأدب القومي مرتبطاً بالحدود السياسية للدول أكثر من ارتباطه باللغة، فهناك على سبيل المثال أدب مويسري ناطق بالألمانية وثان ناطق بالفرنسية وثالث ناطق بالإيطالية. ولكن لرب متسائل سأل : لماذا لا نتكلم على أدب جزائري باللغة الفرنسية، لا عن أدب فرنسي يكتبه جزائريون ؟ نقول : إنه باستطاعة المرء أن يورد هنا عدة حجج تسوغ التحدث عن أدب جزائري باللغة الفرنسية، وأهم تلك الحجج :

- ١- إن بعض الأدباء الجزائريين لا يعدون أنفسهم فرنسيين، مثل كاتب ياسين و عبد الحميد بن هدوقة)، لا بل يشعرون أنفسهم انهم مغتربون عن ذاتهم، مثل مالك حداد الذي يرى نفسه أنه منفي عن لعنه، وما إنجازات كاتب جزائري مثل الطاهر وطار باللغة العربية إلا تعبير عن بداية طريق العودة من الملقى الثقافة الوطنية.
- ٢- لا يتوجه هؤلاء الكتاب بكتاباتهم إلى متلقين فرنسيين في المقام الأول، بل إلى متلقين جزائريين من دون أن يستبعدوا المتلقي الفرنسي بطبيعة الحال.
- ٣- كتب هؤلاء الأدباء أعمالهم بالفرنسية ؛ لأن الاستعمار الفرنسي قد حرّمهم من فرصة اكتساب القدرة على الكتابة بالعربية، وذلك في إطار فرنسية الجزائر.
- ٤- لاقت كتابات هؤلاء الأدباء عندما عربت إقبالا شديداً من جانب القراء العرب، مما جعل بعضهم من مثل (عبد الحميد بن هدوقة)، أن يكف نهائياً عن الكتابة بالفرنسية.
- إلا أن طموح محمد كامل الخطيب أحتاج أن يسوغه على الشكل التالي : إن اللغة ذات علاقة وثيقة بتراثها ومجتمعها وبالتاريخ والفكر اللذين تكون هذه اللغة حافظاً لهما بالإضافة إلى أن اللغة هي وبعد كونها أداة اتصال، شكل من أشكال الفكر، وعلى ذلك تكون هناك مفارقة في أن تعبر اللغة الفرنسية عن هموم الشعب الجزائري، وتلك ليست مفارقة بقدر ما هي تعبير عن وضع مرحلة ذات دلالة بالغة، ورواية (نجمة / الكاتب ياسين)، هي (رواية الذات الوطنية مقابل الغرب الإمبريالي)^{٦٥}، لذلك يجب أن تكون اللغة العربية لغتها، وليست اللغة الفرنسية. وهذا الموقف ناتج عن موقف الحفاظ على الذات الوطنية ضد المحاولات الاستعمارية.
- * ولكن ما رأي الأستاذ الخطيب في إجادة بعض الكتاب الجزائريين والمغاربة واللبنانيين الذين يكتبون بالفرنسية إلى درجة أنهم حازوا على جوائز أدبية رفيعة من فرنسا، كالمغربي (الطاهر بن جلون)، واللبناني (جورج شحادة)، وبعض الكتاب العرب الذين يكتبون بلغات أجنبية أخرى غير اللغة الفرنسية كالقاص (رفيق شامي)، الذي يكتب بالألمانية ونال جائزة كاسيمو الألمانية الغربية لأدب المغتربين. على هذا الصعيد ثمة إجماع على أن الأعمال الأدبية التي تكتب بلغة ما تعد جزءاً من الأدب القومي لتلك اللغة ؛ أي أن كتابات رفيق شامي تنتمي إلى الأدب الألماني الغربي. وكتابات الطاهر بن جلون المغربي تنتمي إلى الأدب الفرنسي وليس إلى الأدب العربي.

ولكن ما يهمنا الآن، كيف رأى ناقدنا الخطيب الآخر الغربي في رواية (نجمة) ؟ لقد رأى الآخر متمن بالشخصيات الاستعمارية الفرنسية، وأن العلاقة بين (الأنا والآخر)، بمصطلحنا الذي تعارفنا عليه، الذي نعني به أن (الذات الوطنية الجزائرية تمثل الأنا، والاستعمار الفرنسي يمثل الآخر)، هي علاقة تصادمية، جعلت الجزائريين شديدي التمسك بالتاريخ القديم لوطنهم مما نتج عنه مواقف في الواقع وفي الرواية، في ظاهر الأمر رجعية، ولكنها في حقيقتها مواقف تقدمية هدفها تأكيد عروبة الجزائر .

*وهكذا نرى في المحور الأول من هذا البحث، أن الناقد الخطيب قد وضع مقدمة نقدية في تاريخ العلاقة بين المجتمع العربي والغرب، من خلال دراسته للفكر العربي الحديث والفن الروائي، تصلح لأن تكون بداية إجرائية حقيقية لما أصبح يعرف اليوم بدراسة صورة الآخر، في الدراسات الصورولوجية، في ميدان الأدب المقارن.

شرق و غرب د (جورج طرابيشي): ٦٦

(شرق و غرب، رجولة وأنوثة)، كتاب في النقد الأدبي، عالج فيه الناقد جورج طرابيشي العلاقات الحضارية ومن الشرق والغرب، كما ظهرت في الرواية العربية، ومن هنا نستطيع أن نقول إن الناقد طرابيشي استطاع الولوج بشكل أو بآخر، وبدون قصد أو وعي مسبق في ميدان معرفي من مبادئ الأدب المقارن، وهو دراسة صورة الأنا والآخر، طبعاً في السبعينيات عندما صدرت هذه الدراسة ولم يكن قد ظهر في حيز الوجود في عالمنا العربي بعد مفهوم (الأنا والآخر)، ولكن عندما أصبح رائجاً في التسعينيات وما بعدها، أمكننا أن نعد دراسة الناقد طرابيشي (شرق و غرب)، أنها تشكل بداية جنينية بشكلها الإجرائي لما أصبح يعرف بالبحوث المقارنة (الصورولوجيا).

١- كيف عالج الناقد طرابيشي العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب ؟

لقد ألبس ناقدنا طرابيشي تلك العلاقات الحضارية، رداءً ومضموناً جتسيين، منطلقاً من مفهوم الرجولة والأنوثة، فعلاقة الرجل بالمرأة، في المجتمع الشرقي، وفي ظل الحضارة الأبوية، علاقة اضطهاد وسيطرة، وهذا المفهوم قد وجهه إلى علاقة ابن المجتمع الشرقي، بالعالم الغربي الأوروبي - وقد رأى أن طبيعة العلاقات الحضارية، في الروايات المدروسة، قد أفرزت ذلك المفهوم مما يشير إلى أن ناقدنا طرابيشي، يقدم

تبريرات ممتازة لتحكيم مبدأ الاضطهاد والسيطرة، في علاقة الإنسان بالعالم من جهة، وعلاقة الإنسان بالإنسان من جهة أخرى.

نرى مما تقدم أن العلاقة بالآخر عند ناقدنا طرابيشي ترتدي طابعاً جنسياً قائماً على العنف مستفيداً من (نظرية فرويد)^{٦٧}، ومنهج (التحليل النفسي)^{٦٨} في النقد، ومن كتاب (فرانز فانون / جلد أسود وأقنعة بيض)^{٦٩}، الذي يرى: (أن الرجل الأبيض باغتصابه المرأة السوداء يشعر الزنجي بأنه مخصي، والزنجي بإقامته علاقات جنسية طوعية أو عصبية مع المرأة البيضاء ينتقم من المستعمر، ويثبت له أنه رجل مثله)^{٧٠}، كذلك أيضاً المستعمر الراسف في إيديولوجية متزمتة في المجتمع الأبيض، يرخي العنان لغرائزه المكبوتة ما إن تطأ قدماء المستعمرة. ونظير ذلك يفعل الرجل المستعمر إذا ما قيضت له الأقدار أن يجيء إلى البلد الإمبريالي، ما يفتأ أن يقوم بنفس دور الاسترقاق الكولونيالي، (ثم إن الأمة المستعمرة ما تزال بفعل عملية المثاقفة أي استيراد ثقافة المتروبول، تحس إحساساً ساحقاً بدونيتها "المؤنثة"، إزاء رجولة - ثقافة الغرب، وفحولتها). من هذا المنظار عالج الناقد طرابيشي العلاقات الحضارية في الأدب الروائي بين الشرق والغرب. ومن هذه الزاوية أيضاً رأى أن المثاقفة تلبس العلاقة الحضارية مضموناً جنسياً.

عرى (د. عبده عبود)^{٧١}، أن الناقد جورج طرابيشي، قد أظهر العقدة النفسية نفسها التي رآها فرانز فانون في كتابه (معذبو الأرض)، عندما حلل نفسية الزنجي الذي عانى من آثار الاستعمار ويظهر أن طرابيشي قد توصل إلى هذا الرأي من خلال دراسته لرواية (موسم الهجرة إلى الشمال الطيب صالح)، إلا أنه لا ينطبق بوضوح على أكثر الروايات والقصص الأخرى فدافع الثأر لا يستشف إطلاقاً عند بطل رواية (الحي اللاتيني / د سهيل إدريس)؛ بل كان الحرمان وما ينجم عنه من كبت لدى الشاب العربي الذي يعيش في مجتمع لا تسمح فيه التقاليد فيما مضى بإمكانية الالتقاء بين شاب وفتاة. ومما أراه أيضاً أن بطل رواية (عصفور من الشرق / لـ توفيق الحكيم)، محسن لم يكن يبحث في الغرب عن الأنثى التي يريد من خلالها أن يثبت رجولته التي سلبها المستعمر منه في بلاده، وإنما كان يبحث عن المرأة العليا أو المرأة الحلم غير الموجودة في عالمه الحقيقي فالبطل لا يتعامل مع سوزي ديبون بائعة

التذاكر؛ بل يتعامل مع حلم سوزي ديبون ويريد أن يميزها عن سائر النساء. ورواية (رصيف العذراء السوداء / عبد السلام العجيلي)، لا توضح ما ذهب إليه طرابيشي من أن العلاقة بين الشرق والغرب علاقة (مستعمر بمستعمر)، وإنما عكست مقولة مفادها عكس المقولة المشهورة التي تقول بمادية الغرب وروحانية الشرق، في ماريالينا بطله هذه الرواية كانت هي المتدنية في أعماق روحها، بينما عباس هو الشاب العربي السطحي. لذلك فإن رؤية (محمد كامل الخطيب)^{٧٢}، كانت ثاقبة أكثر فقد رأى أن عبد السلام العجيلي بمقدرته الفنية أدكى من أن يجعل الموضوع صراع مباشر بين مادية الغرب وروحانية الشرق، على الرغم من أنه يقصد هذه المقولة بالذات، ولكنه قام بعكس طرفي المعادلة فجعل الشرق عباس ماديًا، وجعل الغرب ماريالينا روحانيًا، ومن خلال اللقاء بينهما، يكتشف كل منهما ذاته؛ أي حقيقته ويعود إليها، فيعود الغرب ماديًا، ويعود الشرق روحانيًا، كما أن استعمال العجيلي للمقولات اللاهوتية ليس أكثر من حيلة فنية. مما يشير إلى أن موقف العجيلي يعني عملياً بقاء الشرق متخلفاً، وبقاء الغرب إمبريالية مسيطرة. وهكذا يرى الخطيب أن العجيلي يلتقي مع روديار كبلنغ الذي يقول: الشرق شرق، والغرب غرب، والتقاءهما غير ممكن. بينما يرفض (جورج طرابيشي)^{٧٣}، هذه المقولة التي ترى أن الشرق والغرب عالمان مختلفان ولن يلتقيا. ففي سياق دراسته وتحليله لرواية (الأشجار واغتيل مرزوق لـ عبد الرحمن منيف، يرى أن ثنائية الغرب والشرق لم تظهر إلى الوجود إلا في العصور الحديثة، وقبل ظهور نمط الإنتاج الرأسمالي والحضارة الصناعية والعقلانية الغربية لم تكن ثمة معنى للحديث عن شرق وغرب وجهات أربع لأن الأرض كروية. صحيح أن فوارق كثيرة وجوهرية بين مناطق في العالم، إلا أن الجسر الواصل بين الشرق والغرب مستمر، وما استمراره إلا دليل على غنى العالم، لا على انقسامه. وعلى هذا فإن ثنائية الشرق والغرب ثنائية مزعومة، والدليل على ذلك: عنوان رواية الطيب صالح (موسم الهجرة إلى الشمال)، فالشرق أصبح جنوباً والغرب أصبح شمالاً، وهذا يكفي بحد ذاته للدلالة على مدى (ارتجاجية مفهوم الشرق والغرب)^{٧٤}، وعدم مطابقته للواقع حتى من وجهة النظر الجغرافية الصرفة، فالغرب غرب والشرق شرق، ما دامت إفريقيا مسقطاً من الحساب. أما في اللحظة التي ظهرت فيها رواية (موسم

الهجرة إلى الشمال)، فإن اضطراباً قد أصاب المفاهيم الثابتة والراسخة، وهذا الاضطراب يتوجب معه مراجعة هذه المفاهيم وإعادة النظر فيها.

٢- كيف عالج طرابيشي تعامل الروائي العربي مع ثقافة الآخر؟

لقد رأى الناقد طرابيشي، أن المثاقفة تفترض وجود طرفين موجب وسالب، فاعل ومنفعل تطرح نفسها على الفور كعملية ذات حدين (مؤنث ومذكر)، ولكن بما أن الثقافة ثقافة ذكور لذلك المثاقفة لا توقظ في الطرف المتلقي إلا إحساساً بالدونية المؤنثة بقدر ما تبعث فيه شعوراً مرهقاً بالخصاء والعنة الثقافية، لذلك يلوذ بترائه القومي وماضيه الحضاري الذي ينم هو الآخر عن رجولة، وهو بأمس الحاجة إلى أن يستعيد رجولته في نظر الطرف الفاعل في عملية المثاقفة بوصفها علاقة تحد وسيطرة وعنف حتى اغتصاب. وقد عالج طرابيشي النصوص القصصية والروائية، التي صببت جهدها على المثقف الشرقي، المأزوم في علاقته الثقافية مع الغرب وهو في بلاد الغرب. ولرب متسائل: لماذا ركز طرابيشي نقده الأدبي على الرواية العربية التي اهتمت فقط باللقاء الحضاري بين الأنا والآخر) على أرض الآخر (فرنسا وبريطانيا)، على وجه التحديد، ولم يوجه سهام نقده إلى الروايات التي اهتمت بلقاء الآخر الغربي على أرض الوطن؟ يسوغ طرابيشي مبدأه في التحكيم النقدي على الشكل الآتي: إن المثقف الشرقي يدخل طرفاً متلقياً في عملية المثاقفة وهو في بلاد الغرب. (والمثاقفة لا تتم بدون وسيط اللغة، ويكاد لا يكون من خيار المثقف المنحدر من المجتمع الكولونيالي أن يتقن من لغة غير اللغة المترو بولية، ومن هنا فإن عملية مثاقفته يجب بالضرورة ان تتم في موطن تلك اللغة).^{٧٥} هكذا نعلم أن جميع الروايات العربية التي درسها ناقدنا، تناولت العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب، ابتداءً من (عصفور من الشرق التوفيق الحكيم)، ومروراً بـ (الحي اللاتيني لسهيل إدريس)، ومروراً بـ (موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح)، وقد اختارت جميعها إطاراً مكانية لها باريس ولندن أي حاضرتي الدولتين المتربوليتين السابقتين، وجميع الأبطال هم من المثقفين الذين قدموا إلى حاضرتي الغرب، طلبة للعلم أو الأب أو الفن، وكل رواية هي تجربة ذاتية بضمير الأنا، وهي مسجل ضرية من أدب الاعترافات، وهذا المثقف هو على الدوام رجل كما أن بحثه قد اقتصر على الكاتب الرجل، مثل (عبدا لرحمن منيف وروايته الأشجار واغتيال مرزوق)، و (عبد السلام العجيلي وروايته رصيف العذراء السوداء)، و (صباح محيي الدين وروايته / السيمفونية الناقصة)، وآخرين من الكتاب الرجال. ولم

يولي اهتماماً بأدب الكاتبة الأنثى، انطلاقاً من ثنائيته (رجولة وأنوثة)، التي اعتمدها في نقده. فهناك روايات كتبها كاتبات سوريات اهتمت بالثقافة بين الشرق والغرب، مثل الكاتبة السورية كوليت خوري، فقد كتبت في عام / ١٩٧٠ رواية بعنوان (ومر صيف)^{٧٦}، تطالعنا فيها امرأة أوروبية، وهي جين الإنكليزية، التي تصبو إلى الاستناد إلى رجل قوي وتلتذ بالخضوع له، مثل د. يوسف رجل الاقتصاد المصري، وحاكم مصرف في مصر، الذي جاء إلى لندن، للتداوي من مرض عضال في الأمعاء. صحيح أن الأستاذة كوليت لم تستهدف وصف المرأة الأوروبية باعتبارها كائناً يمتاز عن المرأة العربية، وإنما (ركزت اهتمامها على نماذج من الشخصيات توجد في العالم العربي كما توجد في أوروبا، وعلى الملامح الإنسانية العامة التي تلجم عن التقاء هذه الشخصيات) ^{٧٧}، ولكنها قدمت أدباً نسياً اهتم بالعلاقات الحضارية بين الشرق والغرب. ومن المآخذ التي سجلناها أيضاً على كتاب (شرق وغرب)، أن مؤلفه قد سعى إلى إيجاد قاسم مشترك بين جميع أبطال الروايات التي وضع يده عليها، وإقامة علاقة تساوي وتماه بين الثقافة والرجولة، وتشبث المثقف الآتي من المجتمع الكولونيالي بذكورته، وتأجج فحولته في الأماكن التي تثور فيها الشكوك حول رجولته، مثل أماكن الثقافة، ودور السينما، ومدرجات الجامعة، ورؤيته للمرأة في محراب الثقافة فقط. فالنساء الأوروبيات التي طالعنا عليهن هذه الدراسة، هن على علاقة مباشرة أو غير مباشرة مع عالم الثقافة فقط، (هاويات الرسم والمسرح والموسيقا)، والموقف الهجومي من الغرب، والتحدي الثقافي للذات. وإثبات أن الغرب على الرغم من تفوقه الثقافي يمثل المبدأ المؤنث، والطرف المتلقي في عملية الثقافة، وإشهار المثقف الشرقي لسيف ذكورته، كرد على التحدي الغربي وإقامته وحدة هوية بين الأنثى الغربية والغرب ورده على الاستلاب الاستعماري بشبكة استلابات مماثلة أشد تعقيداً. هكذا رأى الناقد طرابيشي علاقات التفاعل الثقافي بين الشرق والغرب - كما جسدها وعي الروائي العربي - وهي علاقات قائمة على التسلط والاستعباد والاستسلام والرضوخ وقد فاتته أن النظر إلى الآخر الغربي ليس واحداً، فهو متعدد ومتنوع، وتتعدد مسالك البحث في توجهاته المتعددة، وظواهره المتنوعة، وشخصه المتباينة، وفقاً للظروف التاريخية التي تعيشها المرحلة.

هوامش وإحالات البحث:

- ١- هلال، د.محمد علمي (١٩٨٧) الأدب المقارن، ط٩، الفصل السابع، ص ٤٢٠.
- ٢- السيد، د.غسان (٢٠٠٧) صورة الغرب في الأدب العربي رواية فياض لخيري الذهبي نموذجاً، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإنسانية، المجلد (٢٤)، ع(٣-٤).
- ٣- الفيروز آبادي (١٩٩٩) القاموس المحيط ط٦، ص ٣٨٥
- ٤- وهبة، مجدي، وكامل المهندس (١٩٨٤) معجم المصطلحات العربية في الأدب واللغة، ص ٢٢٧ انظر مختلف معاني كلمة صورة في مادة صورة في المعجم السابق / ص ٢٢٦-٢٢٨
- ٥- المرجع السابق نفسه
- ٦- عبد النور، جبير (١٩٧٩) المعجم الأدبي، ص ١٥، ١٣٤
- ٧- وهبة مجدي، وكامل المهندس (١٩٨٤) معجم المصطلحات العربية في الأدب واللغة ص ٢٢٨
- ٨- باجو، دانيال هنري (١٩٩٧) الأدب العام المقارن، تر: د. غسان السيد، ص ٩١.
- ٩- وانظر: علوش، د. سعيد (١٩٨٦) مكونات الأدب المقارن، ص ٤٨٠.
- ١٠- هلال، د. محمد غنيمي (١٩٨٧) الأدب المقارن، ط ٩، الفصل السابع، ص ٤١٩.
- ١١- بوبو، مسعود (١٩٨٤) دراسات في اللغة ص ١٧١. راجع بحث التحت م ١٧١-١٩٠.
- ١٢- عبود، د.عبده (١٩٩٢) الأدب المقارن، ص ٣٨٠.
- ١٣- عزام، محمد (١٩٩٥) مصطلحات نقدية في التراث الأدبي، المقدمة ص ٦.
- ١٤- هلال، د. محمد غنيمي (١٩٨٧) الأدب المقارن، ط ٩، الفصل السابع، ص ٤١٩، مرجع سابق.
- ١٥- حمود، د.ماجدة (٢٠٠٠) مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، ص ١٠٨.
- ١٦- السيد، د.غسان (٢٠٠٧) صورة الغرب في الأدب العربي رواية فياض لخيري الذهبي نموذجاً، مرجع سابق.
- ١٧- هلال، د. محمد غنيمي (١٩٨٧) الأدب المقارن، ط ٩، ص ٤٢٨، مرجع سابق.
- ١٨- المرجع السابق نفسه ص ٤٢٠.
- ١٩- علوش، د. سعيد (١٩٨٧) مدارس الأدب المقارن، ص ٩١.
- ٢٠- طحان، ريمون (١٩٨٣) الأدب المقارن والأدب العام، ط ٢، ص ٢٤، وما بعدها.
- ٢١- عبود، د.عبده (١٩٩٢) الأدب المقارن، ص ٣٧٢ وما بعدها، مرجع سابق.
- وانظر أيضاً: ديماء، ألكسندر (١٩٨٧) مبادئ علم الأدب المقارن، تر: د. محمد يونس، ص ١٣٤.
- ٢٢- هلال، د. محمد غنيمي (١٩٨٧) الأدب المقارن، ط ٩، ص ١٠١، مرجع سابق.
- ٢٣- علوش، د. سعيد (١٩٨٦) مكونات الأدب المقارن، ص ٣٧٣.
- ٢٤- الخطيب، محمد كامل (١٩٧٦) المغامرة المعقدة، الفصل الثاني، ص ١٢٥
- ٢٥- عبود، د.عبده (١٩٩٢) الأدب المقارن، ص ٣٧٠-٤١١، مرجع سابق.
- ٢٦- المرجع السابق نفسه ص ٣٧٣ وما بعدها.
- ٢٧- المناصرة، د. عز الدين (١٩٨٨) مقدمة في نظرية المقارنة، ص ٢٨٧.
- ٢٨- عبود، د.عبده (١٩٩٢) الأدب المقارن، ص ٣٧٧، مرجع سابق.
- ٢٩- سليمان، نبيل (١٩٨٥) دراسات في الرواية العربية، وعي الذات والعالم، ص ٣٦.
- ٣٠- علاء الدين، ماجد (١٩٨٤) الواقعية في الأدبين السوفياتي والعربي، ص ٣٠٩.
- ٣١- السيد، د.غسان (١٩٩٦) دراسات في الأدب المقارن، ص ١١٨.
- ٣٢- الخطيب، محمد كامل (١٩٧٦) المغامرة المعقدة (مقدمة في تاريخ العلاقة بين المجتمع العربي والغربي كما يظهرها الفن الروائي في نشوئه وتطوره)، وزارة الثقافة، دمشق.
- ٣٣- طرابيشي، جورج (١٩٧٧) شرق وغرب رجولة وأوثنة (دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية)، دار الطليعة، بيروت

- ٣٤- محمد كامل الخطيب: ولد في مدينة طرطوس عام (١٩٤٨)، وفيها تلقى تعليمه في الجامعة، حيث انتسب إلى جامعة دمشق قسم اللغة العربية، عام (١٩٦٧)، وبعد تخرجه من الجامعة فكر بالذهاب إلى باريس لمتابعة دراسته لكنه عين موظفاً في وزارة الثقافة في أوائل عام (١٩٧٨)، وهو لا زال يعمل في وزارة الثقافة، مديراً لمديرية الترجمة والتأليف والنشر.
- صدر له: (٧) سبع مجموعات قصصية، و (٣) ثلاث روايات، و (٧) سبعة كتب نقدية وعدد من الكتب في الدراسات الفكرية، وهو الذي يحرق ويقدم سلسلة (فضايا وحوارات النهضة العربية، التي صدر منها أكثر من (٣٠) ثلاثين مجلداً.
- مجموعاته القصصية:
- ١- الأزمنة الحديثة (١٩٧٤) ٢- جيران البحر (١٩٧٦) ٣- النخلة المضيفة (١٩٧٩) ٤- المدن الساحلية (١٩٧٩) ٥- بلاد كالزيتون (١٩٨٧) ٦- ثلاثة فناجين قهوة (١٩٩٩) ٧- صور قديس مجهول (٢٠٠٣).
- الروايات:
- ١- هك ذا كـالـنهر (١٩٨٦)، ترجمت هذه الرواية إلى اللغة الإنكليزية.
- ٢- الأشجار الصغيرة (١٩٩٩) ٣- أجمل السنوات (١٩٩٩).
- مؤلفاته في النقد الأدبي:
- ١- المغامرة المعقدة (١٩٧٦)، وزارة الثقافة، دمشق ٢- السهم والدائرة (١٩٧٩) ٣- الرواية والواقع (١٩٨١) ٤- انكسار الأحلام (١٩٨١) ٥- تكوين الرواية العربية (١٩٩٠) ٦- الرواية واليوتوبيا (١٩٩٥) ٧- واليوتوبيا المفقودة (٢٠٠١)
- الدراسات الفكرية:
- ١- مسائل راهنة (١٩٨٦)، ٢- الثقافة، السياسية، السلطة (١٩٨٩)، ٣- المجتمع المدني والعلمنة (١٩٩٢) ٤- وردة للمختلف (٢٠٠٠) ٥- بلاد أخرى (٢٠٠١) ٦- آخر أخبار المسألة الشرقية (٢٠٠٣) ٧- العرب، وجهة نظر عربية (٢٠٠٥) ٨- وردة أم قنبلة (٢٠٠٦) كما أنه كتب مقدمات نقدية لعدد من الدراسات والكتب الأدبية والفكرية.
- ٣٥- الخطيب، محمد كامل (١٩٧٦) المغامرة المعقدة ص ٢١. ملاحظة: لقد استعار الناقد الخطيب عنوان كتابه (المغامرة المعقدة)، عن الكاتب السنغالي حميدو خان - وهو عنوان رواية له. انظر: حميدو خان (١٩٧٥) رواية المغامرة المعقدة، ترجمة: محرم نسيم، إصدار: الهيئة المصرية للكتاب.
- ٣٦- المرجع السابق نفسه ص ٢٩. بينما يرى د. ناجي نجيب في كتابه: الرحلة إلى الغرب والرحلة إلى الشرق (١٩٨٣ ص ٥٢، إن الطهطاوي قد وضع في كتابه تلخيص الإبريز أولى لبنات النهضة اللغوية والأدبية الحديثة بمحاولته تطويع اللغة للتعبير عن الحياة اليومية ص ١٥-٣٠.
- ٣٧- المرجع السابق نفسه، ص ٣٤، انظر المشروع التنويري الثاني، ص ٣٣-٤٨.
- ٣٨- المرجع السابق نفسه ص ٤١
- ٣٩- المرجع السابق نفسه، ص ٤٢.
- ٤٠- المرجع السابق نفسه.
- ٤١- محمد حسين هيكل: عربي مصري، استكمل تعليمه في مصر، وتخرج في الحقوق، حصل على الدكتوراه في الاقتصاد من باريس عام / ١٩١٢. يتمتع بروح وطنية، منحه إياها انحداره الطيبي فهو ابن أحد الملاكين المصريين الذين يشكلون المركز الأوسط بين الإقطاع الأسري الأرستقراطي الغريب وبين الفلاح المسحوق. كتب رواية زينب (١٩١٠-١٩١٢) بين جنيف ولندن وباريس، وطبعها في مصر عام ١٩١٤، بتوقيع فلاح وعلى أنها مناظر وأخلاق ريفية.
- ٤٢- طه بدر، د. عبد المحسن (تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ١٨٧٠-١٩٣٨)، (١٩٦٨)، ط ٢، ص ٢٢
- ٤٣- خليل بيديس: ولد في بداية الربع الأخير من القرن التاسع عشر في مدينة الناصرة بفلسطين، ودرس ست سنوات في دار المعلمين الروسية في الناصرة، ثم أرسل مديراً للمدرسة الروسية في حمص ثم معلماً للروسية في بسكتنا وعلى يديه تخرج ميخائيل نعيمة. بعدها عاد معلماً للعربية في مدرسة المطران الإنكليزية في القدس حتى عام ١٩٤٥ حيث أحيل على التقاعد هاجر بعد نكبة ١٩٤٨ / إلى الأردن، ثم بيروت، حيث توفي عام ١٩٤٩ للمزيد من الاطلاع: انظر كتاب (الرواية في الأدب الفلسطيني)، (١٩٨٠)، د. أحمد عطية أبو مطر.

- ٤٤- رواية اجتماعية غرامية، تدور أحداثها حول : شاب عربي فلسطيني أغوته رافصة - يهودية، فوقع في شباكها وتراكت عليه الديون، ولكنه عاد إلى وعيه وتخلص من فتنها، وتزوج ابنة عمه وأنجب منها. أعاد طبع روايته الوارث مرة أخرى عام (١٩٢٠)، في القدس.
- ٤٥- عيسى عبيد : عربي شامي مهاجر إلى مصر، مثقف ثقافة فرنسية واضحة، وهو من الرعيل العربي المنهبر بنظريات الغرب في ميادين الأدب والنقد وعلى أساس هذا الأنهبأ كتب رواية : ثريا (١٩٢٢). * للمزيد من الاطلاع : انظر كتاب (فجر القصة المصرية)، ليحيى حقي (د.ت) ص ١٠٢.
- * أحمد فارس الشدياق : ولد فارس الشبان عام / ١٨٠٤ / قى عشوت في لبنان، درس اللغة والنحر على يد أخيه أسعد الذي مات تحت التعذيب من جراء التعذيب الذي صبه عليه البطريك الماروني لأنه انقلب إلى المذهب الإنجيلي سافر إلى مصر، وهناك تزوج من فتاة سورية من عائلة الصولي، تسكن مصر، ثم سافر إلى جزيرة مالطة أمضى فيها (١٤) سنة، وهناك ألف كتاب (الواسطة في أحوال مالطة / ١٨٣٤ /.. ثم غادر إلى لندن يطلب من جمعية التوراة، فيباريس وهناك كتب مؤلفه (كشف المخبأ في أحوال أوروبا / ١٨٤٠).
- * للمزيد من الاطلاع، انظر كتاب : في النثر العربي الحديث (١٩٩٢)، د. عبد اللطيف عبد المجيد، ص ٥٦ وما بعدها.
- ٤٦- محمود تيمور : إنه من أصل غير عربي، تربى في بيت علم وثراء، تأثر بمجالس أبيه العالم المشهور أحمد تيمور، أفاد منها ومن مكتبته العمارة بالمخطوطات والكتب، واطلع على الأدب القصصي والعالمي، وكان مولعاً بموباسان الذي يعد أباً القصة القصيرة في فرنسا، وهو عنده زعيم الأقصوصة الأكبر. وقد كتب روايتا (رجب أفندي / ١٩٢٢) و (الأطلال / ١٩٣٤) بتأثير من هذه النشأة، وهذا التكوين والاطلاع. تدور أحداث (رجب أفندي) حول شخصية هامشية في المجتمع، يتحكم في سلوكها إحساس دني عميق، يجره إلى شخص دجال ينجذب إليه، وتختم الرواية بقتلة لهذا الدجال. وأما في (الأطلال)، فإن تيمور ينتقل من بيئة الناس العاديين إلى البيئة التركيبية الأرسنقراطية.
- * للمزيد من الاطلاع والنشر كتاب (تطور الرواية العربية الحديثة في مصر ١٨٧٠ - ١٩٣٨)، د. عبد المحسن طه بدر (١٩٦٨)، ط ٢ ص ٢٢٦.
- ٤٧- محمود طاهر لاشين: من أصل غير مصري، ولكنه من شرائح الفئات الوسطى، وكان على احتكاك دائم مع الفئات الشعبية، وبحكم عمله مهندس عظيم، يخضع تجارية الروائية والقصصية لدراسة طويلة على مستوى الواقع، وقد عدده يحيى حقي، في كتابه: فجر القصة المصرية، ص ٨٤ وما بعدها (أحد أهم أعضاء المدرسة الحديثة في القصة المصرية الذين تأثروا بالأدبين الفرنسي والإنكليزي) ويؤكد د. عبد المحسن طه بدر، في كتابه تطور الرواية العربية، ص : ٢٦٤ على أنه اطلع على الأدب الروسي ويهر به، قرأ (غرول وبوشكين وتولستوي ودوستوفسكي وغوركي) كتب رواية (حواء بلا أدم ١٩٣٤)، وتعد من المحاولات الجادة، لخروج المثقفين من دائرة التخلف عن طريق العلم والمعرفة، إلى الطبقة الأرسنقراطية، ولكن الطموح للوصول إلى هذه الطبقة غير مسموح به إذا جاء من خارجها. إنها رواية تتميز بوعي كاتبه المسبق، وثقافته الواسعة.
- ٤٨- طه حسين : إن محاولة طه حسين في الأيام وأديب، ليست أكثر من رصد لسيرته الحياتية، وصاغها بقلب قصصي فيه روح المؤرخ والأديب الغني بالبلاغة، والروائي الذي يحاول أن يكون الخيال دوره في عمله. ولعل لغة طه حسين المتميزة بقدراتها البلاغية العالية من أهم الأسباب التي أدت إلى سقوط (الأيام / وأديب) روايتاً ؛ لأنها لم تسعفه على أن يقوم بقص الحياة الإنسانية كما هي، بل فرض نفسه على هذه الحياة التي لم تكن في يوم من الأيام تسير بمستوى تعبيرى واحد... كتب طه حسين الأيام (١٩٢٩)، ودعاء الكروان (١٩٣٤). * للمزيد من الاطلاع : انظر كتاب (فجر القصة المصرية)، ص ٨١.
- ٤٩- توفيق الحكيم : كتب توفيق الحكيم عودة الروح (١٩٣٣)، و يوميات نائب من الأرياف (١٩٣٧)، وعصفور من الشرق (١٩٣٨)، وقد ذكر يحيى حقي في كتابه (فجر القصة المصرية)، ص ١٢١، إن عودة الروح أثارت بعد صدورها نقاشاً بين المجددين والمقلدين والحساد، أسهم فيه المازني وسامي الكيالي ومحمد علي حماد وصلاح الدين ذهني.
- * انظر أيضا : مصادر نقد الرواية في الأدب العربي الحديث في مصر (١٩٧٩) للد. أحمد الهواري، ص ١١٢ وما بعدها.
- * وقد كتب د. عبد المحسن طه بدر في كتابه (تطور الرواية العربية)، ص ٢٧٢ وما بعدها إن توفيق الحكيم غير قادر على تجاوز تجاربه الذاتية في أعماله الروائية. وعلى الرغم من ذلك يظل الأستاذ الحكيم متفرداً في إبداعه الروائي بسبب تفرغه الكامل للنشاط الإبداعي، وبفضله أصبح الأدب ليس هوية بل تخصصاً علمياً يحتاج بجانب المهوية إلى دراسة منهجية.
- * وأما محمد كامل الخطيب في كتابه (تكوين الرواية العربية / ١٩٩٠)، ص ١٣٧، فإنه يرى أن (عودة الروح) أنجح

- محاولة استغلت السيرة الذاتية لتدخل بها العالم الروائي مستفيدةً من الرمز والإسقاطات وتجاوز المظهر السطحي للواقع من دون تأثير لرغبات المؤلف في سير الأحداث وحركة الشخص.
- ٥٠- عبد القادر المازني: كتب المازني رواية إبراهيم الكاتب (١٩٣١)، تعد رواية رومانظيقية، على الرغم من إلحاح المازني على بعض الجوانب الواقعية والنفسية، فهي تركز على الفرد وتفصله عن المجتمع، والبطل ذو نزعة هروبية يتوجه إلى الماضي أو الريف ويتغنى بالصحراء بنبرة تشاؤمية وهو يعذب ذاته بلا مسوغ *انظر مصادر نقد الرواية (١٩٧٩) د. أحمد الهواري، ص ١٠٣ وما بعدها.
- محمود مصطفى العقاد: كتب العقاد رواية سارة (١٩٣٨) تتجه الرواية إلى تحليل الأثني، ولكن يتعالى صوت العقاد على صوت الشخصيات وتتبرك النزعة العقلية للعقاد طابعهما على فرص الحدث وتصوير الشخصية. *انظر تطورات الرواية العربية (١٩٦٨)، د. عبد المحسن بدر، ص ٣٦٢.
- ٥١- سليم البستاني: أصدر ما بين (١٨٧٠-١٨٨٤) تسع روايات أغلبها ذات طابع تاريخي، وأولى رواياته (١٨٨٢) نشرها في مجلة الجنان.
- ٥٢- أمين أرسلان: أصدر (١٨٩١) رواية أسرار القصور
- ٥٣- شكري العسلي: أصدر (١٩٠٧) رواية فجاجع البائسين
- ٥٤- رفيق رزق سلوم أصدر (١٩٠٩) كتاب أمراض العصر الجديد، كما أصدر كتب وروايات كثيرة *للمزيد من الاطلاع: انظر كتاب تطور الرواية العربية في بلاد الشام (١٩٨٠) د. إبراهيم السعافين
- ٥٥- سليمان فيضي كتب الرواية الإيقاظية (١٩٢٩) البصرة، وهي رواية ذات طابع عربي إسلامي.
- ٥٦- محمود أحمد السيد: كتب عام (١٩٢١) رواية (مصير الضعفاء)، وفي عام (١٩٢٢) في سبيل الزواج، وهنا روايتان ذات طابع اجتماعي وسياسي. (١٩٢٨) رواية (جلال خالد) يجسد فيها علاقة العربي بالأجنبي، من خلال مسيرة شباب قومي متحمس يرى وطنه عام (١٩١٩) مستباحاً من الأجنبي، فتضيق به الدنيا ويقرر السفر إلى الهند. وعلى متن الباخرة يلتقي بعائلة يهودية، ويقع مثل أي شاب مراهق في غرام ابنة هذه العائلة. وفي الهند تجتمع الظروف مع مفكر هندي ثوري، يكتشف بفضل أن هواجس مبتئين في الحياة السياسية، هكذا يرى أحمد السيد الأخر الأجنبي فالمستعمر الأجنبي مرفوض لديه، ويجب مقاومته. أما الأخر الهندي، فهو مقبول لديه؛ لأنه يساعده على تعميق فهمه لذاته، فالأخر هو مرآة لذات: للمزيد من الاطلاع انظر كتاب (الرواية العراقية) ١٩٧٣. د. يوسف عز الدين.
- ٥٧- الخطيب، محمد كامل (١٩٧٦) المغامرة المعقدة ص ٤٩-١٤٣.
- ٥٨- المرجع السابق نفسه، درس (٦) روايات سورية، و (٤) روايات مصرية و (٥) روايات عربية.
- ٥٩- المرجع السابق نفسه ص ٥٥.
- ٦٠- انظر الرواية بترجمة: محرم نسيم، إصدار الهيئة المصرية للكتاب (١٩٧٥)
- ٦١- انظر ملحق المغامرة المعقدة للناقد الخطيب، ص ٤٥ وما بعدها.
- ٦٢- الخطيب، محمد كامل (١٩٧٦) المغامرة المعقدة ص ١٣٨.
- ٦٣- عيود، د. عبده (١٩٩٢) الأدب المقارن، ص ١١٦، وما بعدها.
- ٦٤- الخطيب، محمد كامل (١٩٧٦) المغامرة المعقدة ص ١٤٣.
- ٦٥- المرجع السابق نفسه.
- ٦٦- جورج طرابيشي: ولد في مدينة حلب عام (١٩٣٩)، وفيها تلقى تعليمه، ثم درس في جامعة دمشق / قسم اللغة العربية، عمل بعد تخرجه مدرساً، فمديراً في إذاعة دمشق بين عامي (١٩٦٣-١٩٦٤) ورئيساً لتحرير مجلة (دراسات عربية) له مؤلفات تزيد على الأربعين كتاباً، وبعض هذه المؤلفات طبع أكثر من مرة في دار الطليعة، بيروت ومنها: ١- سارتر والماركسية (١٩٦٣)، ٢- الماركسية والمسألة القومية (١٩٦٩)، ٣- النزاع الصيني السوفييتي (١٩٦٩)، ٤- الاستراتيجية التطبيقية للشورة (١٩٧٠)، ٥- لعبة الحلم والواقع في أدب توفيق الحكيم (١٩٧١)، ٦- الله في رحلة نجيب محفوظ الرمزية (١٩٧٣)، ٧- شرق وغرب رجولة وأثوثة دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية (١٩٧٧)، ٨- الأدب من الداخل - دراسة في أدب نوال السعداوي، ود، عبد الرحمن منيف، ونجيب محفوظ، وسمير عزام، وعبد السلام العجيلي، وتوفيق الحكيم، وألبرتو مورافيا (١٩٨١)

- ٩- الرجولة وأيدولوجيا الرجولة في الرواية العربية (١٩٨٣)، ١٠- رمزية المرأة في الرواية العربية (١٩٨٢)، ١١- عقدة أوديب في الرواية العربية (١٩٨٣).
- *انظر ترجمته في: دليل الاتحاد الكتاب العرب في القطر العربي السوري (١٩٩٥، ٧٣٢).
- *انظر ترجمته في مجلة ثقافات البحرينية (٢٠٠٣)، ع(٧-٨)، ص١٥٩-١٦٨.
- ٦٧- هلال، د. محمد غنيمي (١٩٨٧) الأدب المقارن، ط ٩، ص ٤١٩ وما بعدها، مرجع سابق
- ٦٨- راجع بهذا الخصوص أيضاً كتاب عبود، د. عبده (١٩٩٢) الأدب المقارن، ص ٣٧٣.
- ٦٩- فرويد، سيغموند (١٩٧٦) الحلم و تأويله، ترجمة: جورج طرابيشي.
- ٧٠- استفاد على سبيل دراسة: كالفن هورنتون (١٩٦٥) الجنس والعنصرية في أمريكا نيويورك.
- ٧١- طرابيشي، جورج (١٩٧٧) شرق وغرب رجولة وأثوثة، ص٩، مرجع سابق.
- ٧٢- عبود، د. عبده (١٩٩٢) الأدب المقارن، ص ٤٠١، مرجع سابق.
- ٧٣- الخطيب، محمد كامل (١٩٧٦) المغامرة المعقدة ص٧٨ وما بعدها، مرجع سابق.
- ٧٤- المرجع السابق نفسه، ص١٤٣.
- ٧٥- المرجع السابق نفسه، ص١٢.
- ٧٦- المرجع السابق نفسه.
- ٧٧- خوري، كوليت (١٩٧٥) «رواية "مر صيف"».
- ٧٨- عبود، د. عبده (١٩٩٢) الأدب المقارن، ص ٤١٠، مرجع سابق.

فهرس المصادر والمراجع

- ١- باجو، دانييل هنري (١٩٩٤) الأدب العام المقارن، تر: د. غسان السيد، (١٩٩٧) اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (١٧٩ص).
- ٢- بوبو، مسعود (١٩٨٤) دراسات في اللغة، مطبعة ابن حيان، دمشق.
- ٣- حقي، يحيى (د.ت) فجر القصة المصرية، نهضة مصر للنشر (ص٢٦٤).
- ٤- حمود، د. ماجدة (٢٠٠٠) مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن، اتحاد الكتاب العرب، دمشق.
- ٥- خان، حميدو (١٩٧٥) رواية المغامرة المعقدة، ترجمة: محرم نسيم، إصدار الهيئة المصرية للكتاب.
- ٦- الخطيب، محمد كامل (١٩٧٦) المغامرة المعقدة (مقدمة في تاريخ العلاقة بين المجتمع العربي والغربي كما يظهرها الفن الروائي في نشوئه وتطوره)، وزارة الثقافة، دمشق.
- ٧- خوري، كوليت (١٩٧٥)، رواية "ومر صيف"، دار طلاس للنشر، سورية.
- ٨- ديما، ألكسندر (١٩٨٧) مبادئ علم الأدب المقارن، تر: د. محمد يونس، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- ٩- السعافين، د. إبراهيم (١٩٨٠) تطور الرواية العربية في بلاد الشام، دار المناهل، المملكة العربية السعودية، (٥٩٢ص).
- ١٠- سليمان، نبيل (١٩٨٥) دراسات في الرواية العربية، وعي الذات والعالم، دار الحوار - اللاذقية.
- ١١- السيد، د. غسان (١٩٩٦) دراسات في الأدب المقارن، .
- ١٢- السيد، د. غسان (٢٠٠٨) صورة الغرب في الأدب العربي رواية فياض الخيري الذهبي نموذجاً، مجلة جامعة دمشق للعلوم الإنسانية، المجلد (٢٤)، ع(٣-٤).
- ١٣- طحان، ريمون (١٩٨٣) الأدب المقارن والأدب العام، ط ٢، دار الكتاب اللبناني، (١٥٨ص).
- ١٤- طرايشي، جورج (١٩٧٧) شرق وغرب رجولة وأنوثة (دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية)، دار الطليعة، بيروت.

- ١٥- طه بدر، د. عبد المحسن (١٩٦٨) تطور الرواية العربية الحديثة في مصر (١٨٧٠-١٩٣٨)، ط ٢، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، ١٩٧٧، (٤٤٢ ص).
- ١٦- عبد النور، جبور (١٩٧٩) المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت.
- ١٧- عزام، محمد (١٩٩٥) مصطلحات نقدية في التراث الأدبي، هيئة إحياء التراث العربي، في وزارة الثقافة، دمشق.
- ١٨- علاء الدين، ماجد (١٩٨٤) الواقعية في الأدبين السوفياتي والعربي، وزارة الثقافة، دمشق.
- ١٩- علوش، د. سعيد (١٩٨٦) مكونات الأدب المقارن، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، وسوشبرس، الدار البيضاء.
- ٢٠- علوش، د. سعيد (١٩٨٧) مدارس الأدب المقارن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت.
- ٢١- فرويد، سيغموند (١٩٧٦) الحلم و تأويله، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة، بيروت.
- ٢٢- الفيروز آبادي (١٩٩٩) القاموس المحيط ط ٦، ضبطه ووثقه: يوسف الشيخ ومحمد البقاعي (إشراف)، مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر، بيروت.
- ٢٣- المناصرة، د. عز الدين (١٩٨٨) مقدمة في نظرية المقارنة، دار الكرمل، عمان.
- ٢٤- نجيب، د. ناجي (١٩٨٣) الرحلة إلى الغرب والرحلة إلى الشرق، دار الكلمة للنشر، مصر.
- ٢٥- هلال، د. محمد عليمي (١٩٨٧) الأدب المقارن، ط ٩، دار العودة، بيروت. ط ١: (١٩٥٣) القاهرة. طبعة جديدة، (٢٠٠٤) دار نهضة مصر، القاهرة. (٣٨١ ص).
- ٢٦- وهبة، مجدي، وكامل المهندس (١٩٨٤) معجم المصطلحات العربية في الأدب واللغة، ط ٢، مكتبة لبنان.